كتاب طرح القواصم

وهو كتاب هذبه ورتبه من كتاب العواصم من القواصم

السيد الشريف

عادل شلار الرفاعي الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عصم عباده من الفتن بساطع براهين الكتاب العظيم والسنة النبوية المطهرة وجمع بين عباده المتنافرين بالسادة من خلص أحبابه وصل يا ربنا على سيد الأولين والآخرين الذي رحمت به الخلق وأخرجتهم بنوره من الظلمات إلى النور وعلى آله وأصحابه الذين اصطفيتهم لصحبته وغفرت لهم وتبت عليهم ورفعت درجاتهم وسلم تسليماً كثيراً ، وبعد :

لما رأيت كثيراً من الناس الذين يحبون الاطلاع على الحوداث التي جرت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان كتاب العواصم من القواصم للإمام أبي بكر بن العربي من أفضل الكتب في هذا الشأن ، ولما رأيت كثيراً من العوام لا يحسن التعامل مع هذا الكتاب ، أحببت أن

أرتبه وأقرب العوام من قراءته ، فقمت بطرح القواصم وجمع العواصم فقط وترتيبها على نحو ينفع القارئ المجيد ويقرب العامي من الفهم والمعرفة ، وسميته : (تجريد القواصم من العواصم) وأسال الله أن ينفع وبه ويجعله مقبولاً عنده بمنه وكرمه .

مقدمات :

١- تحذير المسلمين من أهواء المفسرين والمؤرخين الجهلة منهم وكذا أهل الآداب

قال أبو بكر بن العربي :

إنما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق، وخاصة من المفسرين، والمؤرخين وأهل الآداب ، فإنهم أهل جهالة بحرمات الدين ، أو على بدعة مصرين ، فلا تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما إلا للطبري وغير ذلك هو الموت الأحمر ، والداء

الأكبر، فإنهم ينشئون أحاديث استحقار الصحابة والسلف والاستخفاف بهم ، واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم ، وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا، وعن الحق إلى الهوى ، فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول سلمتم من هذه الحبائل ، ولم تطووا كشحا على هذه الغوائل .

- **ابن قتيبة بريء من كتاب الإمامة والسياسة و تشييع المسعودي وميل المبرد للخوارج**

فأما ابن قتيبة، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما في كتاب الإمامة والسياسية إن صح عنه جميع ما فيه .

وكالمبرد في كتابه الأدبي وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المتقدم في أماليه ، فإنها ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة.

وأما المبتدع المحتال فالمسعودي، فإنما يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك ، وأما البدعة فلا شك فيه .

فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل، ولم تسمعوا في خليفة ممن نسب إليه ما لا يليق ويذكر عنه ما لا يجوز نقله، كنتم على منهج السلف سائرين ، وعن سبيل الباطل ناكبين.

فهذا مالك رضي الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان في موطأه، وأبرزه في جملة قواعد الشريعة .

وقال في روايته : عن زياد بن أبي سفيان، فنسبه إليه وقد علم قصته، ولو كان عنده ما يقول العوام حقا لما رضي أن ينسبه ولا ذكره في كتابه الذي أسسه للإسلام ، وقد جمع ذلك كله في أيام بني العباس والدولة لهم والحكم بأيديهم فما غير عليه ولا أنكروا ذلك عنه لفضل علومهم ومعرفتهم بأن مسألة زياد قد اختلف الناس فيها فمنهم من جوزها ومنهم من منعها ، لم يكن لاعتراضهم إليها سبيل.

وكذلك أعجبهم – حين قرأ الخليفة على مالك الموطأ– ذكر عبد الملك بن مروان فيه وإذكاره بقضائه، لأنه إذا احتج

بقضائه فسيتحج بقضائه أيضا مثله ، وإذا طعن فيه طعن فيه بمثله .

وأخرج البخاري عن عبد الله بن دينار قال: شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان كتب : إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله، ما استطعت. وإن بني قد أقروا بمثل ذلك.

وهذا المأمون كان يقول بخلق القرآن ، وكذلك الواثق ، وأظهروا بدعتهم وصارت مسألة معلومة إذا ابتدع القاضي أو الإمام هل تصح ولايته وتنفيذ أحكامه أم هي مردودة ؟ وهي مسألة معروفة.

هذا أشد من برودات ذكرها أصحاب التواريخ من أن فلانا الخليفة شرب الخمر أو غنى أو فسق أو زنى ، فإن هذا القول في القرآن بدعة أو كفر– على اختلاف العلماء فيه – قد اشتهروا به، وهذه المعاصي لم يتظاهروا بها إن كانوا فعلوها فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال المغنيين والبراد من المؤرخين

الذين قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصي على الناس وليقولوا إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا.

وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم في مثل أفعالهم حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وحتى سمحوا للجاحظ أن تقرأ كتبه في المساجد وفيها من الباطل والكذب والمناكير ونسبة الأنبياء إلى أنهم ولدوا لغير رشدة كما قال في إسحاق صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب الضلال والتضليل، وكما مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة في إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم وخواصهم في ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة .

ورحم الله عمر بن عبد العزيز حيث قال: وقد تكلموا في الذين جرى بين الصحابة: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [البقرة:١٣٤] .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

٢- نصيحة للناس بالأدب مع الصحابة

فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه، فأعرضوا عن الغاوين، وازجروا العاوين، وعرجوا عن سبيل الناكثين، على سنن المهتدين ، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين ، إياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد هلك من كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصمه، دعوا ما مضى، فقد قضى الله فيه ما قضى، وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادًا وعملًا، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ماجن اتخذ الدين هملًا، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

ورحم الله الربيع بن خثيم فإنه لما قيل له : قتل الحسين قال: أقتلوه؟ قالوا : نعم ، فقال: {اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمر: ٤٦] ولم يزد على هذا

أبدًا، فهذا العقل والدين، والكف عن أحوال المسلمين، والتسليم لرب العالمين.

ما رضيت النصارى واليهود في أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل ، فما يرجى من هؤلاء، وما يستبقى منهم ؟ وقد قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً} سورة النور: ٥٥ ، وهذا قول صدق، ووعد حق. وقد انقضى عصرهم ولا خليفة فهيم ولا تمكين، ولا أمن ولا سكون، إلا في ظلم وتعد وغصب وهرج وتشتيت وإثارة ثائرة.

وقد أجمعت الأمة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما نص على أحد يكون من بعده . وقد قال العباس

لعلي– فيما روى عنه عبد الله ابنه– قال عبد الله بن عباس: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه من عند رسول الله صلى الله علي وسلم في وجه اليوم الذي توفى فيه ، فقال الناس يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أصبح بحمد الله بارئا ، فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا ، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلنسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده، فإن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمانه فأوصى بنا ، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . صحيح البخاري

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: رأى العباس عندي أصح، وأقرب إلى الآخرة، والتصريح بالتحقيق ، وهذا يبطل قول مدعي الإشارة باستخلاف علي، فكيف أن يدعي فيه نص؟!

فأما أبو بكر، فقد جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمرها أن ترجع إ ليه. قالت: فإن لم أجدك- كأنها تعني الموت- قال: ((تجدين أبا بكر)) صحيح البخاري

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمر وقد وقع بينه وبين أبي بكر كلام، فتمر وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى أشفق من ذلك أبو بكر ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((هل أنتم تاركوا لي صاحبي مرتين ، إني بعثت إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر: صدقت ، ألا إني أبرأ إلى كل خليل من خلته)).صحيح البخاري

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لو كنت متخذا في الإسلام خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكني أخي، وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا ، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر)) صحيح البخاري .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم استحالة غربا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن))صحيح البخاري

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعدا أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهما، فرجف بهم: فقال: ((اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان)) صحيح مسلم

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر)) صحيح البخاري .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة رضي الله عنها في مرضه: ((ادعى لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول: أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)) مسند احمد

وفي البخاري ومسلم عن ابن عباس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، إني أرى الليلة في المنام ظلمة تنظف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون بأيديهم، فالمستكثر والمستقل وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وصل له فعلا وذكر

الحديث.. ثم عبرها أبو بكر فقال: واما السب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، فأخذته فيعليك الله. ثم يأخذ به رجل آخر بعدك فيعلو به، ثم يأخذه رجل آخر فيعلو به. ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به .

وصح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات يوم: ((من رأى منكم رؤيا؟)) فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت. ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر. ووزن عمر وعثمان فرجح عمر. ثم رفع الميزان ، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. الترمذي وأبو داود

وهذه الأحاديث جبال في البيان، وحبال في التسبب إلى الحق لمن وفقه الله. ولو لم يكن معكم- أيها السنية- إلا قوله تعالى: {إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} التوبة:٤٠ فجعلها في

نصيف وجعل أبا بكر في نصيف آخر وقام معه جميع الصحابة.

وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء في خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصا وعموما ، وقد قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً} النور:٥٥ .

وإذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلمن ينفذ ؟ وإذا لم يكن فيهم ففيمن يكون ؟ والدليل على انعقاد الإجماع أنه لم يتقدمهم في الفضيلة أحد إلى يومنا هذا ، وما بعدهم مختلف فيه ، وأولئك مقطوع بهم، متيقن إمامتهم، ثابت نفوذ وعد الله لهم، فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين وقاموا بسياسة الدين.

قال علماؤنا: ومن بعدهم تبع لهم من الأئمة الذين هم أركان الملة،

ودعائم الشريعة، الناصحون لعباد الله، الهادون من استرشد إلى الله. فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره مقصور على الدنيا وأحكامها وأما حفاظ الدين فهم الأئمة العلماء الناصحون لدين الله، **وهم أربعة أصناف**:

الصنف الأول : حفظوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش.

الصنف الثاني : علماء الأصول : ذبوا عن دين الله أهل العناد وأصحاب البدع، فهم شجعان الإسلام، وأبطاله المدافعون عنه في مآزق الضلال.

الصنف الثالث : قوم ضبطوا أصول العبادات، وقانون المعاملات، وميزوا المحللات من المحرمات، وأحكموا الجراح والديات، وبينوا معاني الإيمان والمنذوريات، وفصلوا

الأحكام في الدعاوى ، فهم في الدين بمنزلة الوكلاء المتصرفين في الأموال.

الصنف الرابع : تجردوا للخدمة، ودأبوا على العبادة، واعتزلوا الخلق. هم- في الآخرة- كخواص الملك في الدنيا.

وقد أوضحنا في كتاب سراج المريدين في القسم الرابع من علوم القرآن أي المنازل أفضل من هؤلاء الأصناف، وترتيب درجاتهم.

ونقول بعد هذا البيان على مقام آخر:

لو كان هناك نص على أبي بكر أو على علي رضي الله عنهما ، لم يكن بد من احتجاج علي به ، أو يحتج له به غيره من المهاجرين والأنصار.

أما حديث غدير خم فلا حجة فيه ، لأنه إنما استخلفه في حياته على المدينة كما استخلف موسى هارون في حياته – عند سفره للمناجاة- على بني إسرائيل وقد اتفق

الكل من إخوانهم اليهود قاطبة على أن موسى مات بعد هارون، فأين الخلافة ؟

وأما قوله: ((اللهم وال من والاه)) فكلام صحيح، ودعوة مجابة ، وما يعلم أحد عاداه إلا الرافضة، فإنهم أنزلوه في غير منزلته، ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجته ، والزيادة في الحد نقصان من المحدود ، ولو تعدى عليه أبو بكر ما كان المتعدى وحده ، بل جميع الصحابة- كما قلنا- لأنهم ساعدوه على الباطل.

ولا تستغربوا هذا من قولهم، فإنهم يقولون: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مداريا لهم، وممتحنا بهم على نفاق وتقية ، وأين أنت من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع قول عائشة رضي الله عنها: مروا عمر فليصل بالناس : ((إنكم لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس))صحيح مسلم .

وما جعلها عمر شورى إلا اقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأبي بكر، إذ قال : ((إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن لم أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف)) رواه البخاري .

فما رد هذه الكلمات أحد ، وقال عمر : ((اجعلها شورى في النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض)) صحيح مسلم ، وقد رضى الله عن أكثر منهم ، ولكنهم كانوا خيار الرضا ، وشهد لهم بالأهلية للخلافة .

وأما قولهم تحيل ابن عوف حتى ردها لعثمان ، فقد علم كل أحد أنه لا يليها إلا واحد، فأخرج عبد الرحمن نفسه على أن يجتهد للمسلمين في الأسدّ والأشد، فكان كما فعل ، وولا ها من استحقها ، ولم يكن غيره أولى منه بها، حسبما بينا في مراتب الخلافة كتب الحديث.

وقتل عثمان، فلم يبق على الأرض أحق بها من علي فجاءته على قدر، في وقتها ومحلها وبين الله على يديه من الأحكام والعلوم ما شاء الله أن يبين ، وقد قال عمر لولا علي لهلك عمر، وظهر أن فقهه وعلمه في قتال أهل القبلة – من استدعائهم ومناظرتهم، وتر مبادرتهم ، والتقدم إليهم قبل نصب الحرب معهم ، وندائه : لا تبدأوا بالحرب، ولا يتبع حول ، ولا يجهز على جريح ، ولا تهاج امرأة، ولم يغنم لهم مالا– وأمره بقبول شهاداتهم، والصلاة خلفهم ، حتى قال أهل العلم: لولا ما جرى ما عرفنا حكم قتال أهل البغي .

فإن قيل: ما رواه الأئمة أن العباس وعليا اختصما عند عمر في شأن أوقاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال العباس لعمر: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا الظالم الكاذب الغادر الآثم لخائن ، فقال الرهط لعمر : يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وارح أحدهما من

الآخر. فقال عمر : أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((لا نورث، ما تركنا صدقة)) يريد بذلك نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك. فأقبل على العباس وعلي فقال: أنشدكما الله، هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك؟ قالا: نعم ، قال عمر: إن الله خص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدا غيره ، فعمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياته، ثم توفى، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقبضها سنتين في إمارته فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأنتما تزعمان أن أبا بكر، كاذب غادر خائن، والله ليعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق ... وذكر الحديث. صحيح مسلم

قلنا: أما قول العباس لعلي فقول الأب للابن، وذلك على الرأس محمول ، وفي سبيل المغفرة مبذول، وبين الكبار والصغار-فكيف الآباء والأبناء- مغفور موصول . وأما قول عمر أنهما اعتقدا أن أبا بكر ظالم خائن غادر وكذلك اعتقد فيه، فإنما ذلك خبر عن الاختلاف في نازلة وقعت من الأحكام ، رأى فيها هذا رأيا ورأى فيها أولئك رأيا، فحكم أبو بكر وعمر بما رأيا ، ولم ير العباس وعلي ذلك ، ولكن لما حكما سلما لحكمهما كما يسلم لحكم القاضي في المختلف فيه ، وأما المحكوم عليه فرأى أنه قد وهم ، ولكن سكت وسلم .

فإن قيل: إنما يكون ذلك في أول الحال- والأمر لم يظهر- إذا كان الحكم باجتهاد، وإنما كان هذا الحكم على منع فاطمة والعباس الميراث بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((لا نورث ما تركناه صدقة)) وعلمه أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه العشرة

وشهدوا به، فبطل ما قلتموه انه كان اجتهاد في أول الحال

.

حوار العباس وعلي في مرضه صلى الله عليه وآله وسلم

وتعلق بآل العباس وعليّ بأمر أنفسهما في مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال العباس لعلي: ((إني أرى الموت في وجوه بني عبد المطلب، فتعال حتى نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كان هذا الأمر فينا علمناه)) البخاري.

وتعلق آل العباس وعلي بميراثهما فيما تركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فدك وبني النضير وخيبر .

واضطرب أمر الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم، أو الشركة فيه مع المهاجرين .

• وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووقعها في نفوس الصحابة

بعد أن استأثر الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أكمل له ولنا دينه، وأتم عليه وعلينا نعمته، كما قال الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً} المائدة: ٣

وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان؛ ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة، وذلك العمل الصالح والدار الآخرة، فهي دار الله الكاملة، قال أنس رضي الله عنه : ((ما نفضنا أيدينا من تراب قبر سول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أنكرنا قلوبنا)) أبو يعلى بسند صحيح

فأما علي فاستخفى في بيته مع فاطمة، وأما عثمان فسكت ، وأما عمر فأهجر وقال: ((ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما واعده الله كما واعد موسى، وليرجعن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فليقطعن أيدي ناس وأرجلهم)) مسند احمد .

وانقطعت قلوب الجيش الذي كان قد برز مع أسامة بن زيد بالجرف فتدارك الله الإسلام والأنام بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان إذ مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم غائبًا في ماله بالسُّنح، فجاء إلى منزل ابنته عائشة رضي الله عنها وفيه مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكشف عن وجهه، وأكب عليه يقبله، وقال: ((بأبي أنت وأمي يا رسول الله، طبت حيًّا وميتًا، والله لا يجمع الله عليك الموتتين، أما الموتة التي كتب عليك فقد متها)) ثم خرج إلى المسجد –والناس فيه، وعمر يأتي بهجر من القول كما قدمنا– فرقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أما بعد أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)) ، ثم قرأ : {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ

يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} آل عمران: ١٤٤ فخرج الناس يتلونها في سكك المدينة، كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم .صحيح البخاري

- **موقفه في سقيفة بني ساعدة**

واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يتشاورون، ولا يدرون ما يفعلون، وبلغ ذلك المهاجرين فقالوا: نرسل إليهم يأتوننا، فقال أبو بكر: بل نمشي إليهم، فسار إليهم المهاجرون، منهم أبي بكر وعمر وأبو عبيدة، فتراجعوا الكلام ، فقال بعض الأنصار: منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر كلامًا كثيرًا مصيبًا، يكثر ويصيب، منه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((الأئمة من قريش)) مسند احمد وقال: ((أوصيكم بالأنصار خيرًا: أن تقبلوا من محسنهم ، وتتجاوزوا عن مسيئهم ، إن الله سمانا ((الصادقين)) وسماكم ((المفلحين)) ، وقد أمركم

أن تكونا معنا حيثما كُنَّا، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} التوبة: ١١٩ .

إلى غير ذلك من الأقوال المصيبة والأدلة القوية، فتذكرت الأنصار ذلك، وانقادت إليه، وبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه .رواه الإمام احمد

وقال أبو بكر لأسامة: ((أنفذ لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)) فقال عمر: ((كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك؟ فقال: لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة، ما رددت جيشًا أنفذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)) رواه البيهقي كما في البداية والنهاية لابن كثير .

- **موقف الصديق من مانعي الزكاة**

وقال له عمر وغيره: ((إذا منعكم العرب الزكاة فاصبر عليهم)) . فقال: ((والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة))

قيل: ومع من تقاتلهم؟ قال: ((وحدي، حتى تنفرد سالفتي)) .مسند احمد

وقدم الأمراء على الأجناد والعمال في البلاد مختارًا لهم ، مرتئيًا فيهم ، فكان ذلك من أسدِّ عمله ، وأفضل مقدمه .

- **موقف أبي بكر من ميراث النبي عليه الصلاة والسلام :**

وقال لفاطمة وعلى والعباس رضي الله عنهم : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((لا نورث، ما تركنا صدقة)) البخاري.

فذكر الصحابة ذلك.

وقال : سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((ما دفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه)) موطأ .

ثم استخلف عمر، فظهرت بركة الإسلام، ونفذ الوعد الصادق في الخليفتين ثم جعلها عمر شورى ، فأخرج عبد

الرحمن بن عوف نفسه من الأمر حتى ينظر، ويتحرى فيمن يقدم فقدم عثمان، فكان عند الظن به : ما خالف له عهدًا ، ولا نكث عقدًا، ولا اقتحم مكروهًا، ولا خالف سنة.

• سجايا عثمان ومكانته العالية في الإسلام

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بأن عمر شهيد، وبأن عثمان شهيد ، وبأن له الجنة على بلوى تصيبه.

وهو زوج رقيه ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أول مهاجر بعد إبراهيم الخليل صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما صحت إمامته قتل مظلومًا ؛ ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا ، ما نصب حربًا ولا جيش عسكرًا ، ولا سعى إلى فتنة ولا دعا إلى بيعة، ولا حاربه ولا نازعه من هو من أضرابه ولا أشكاله، ولا كان يرجوها لنفسه ولا خلاف انه ليس لأحد أن يفعل ذلك في غير عثمان فكيف بعثمان رضى الله عنه

صفة من قام على عثمان رضي الله عنه :

وقد سموا من قام عليه فوجدناهم أهل أغراض سوء حيل بينهم وبينها فوعظوا وزجروا وأقاموا بحمص عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد يؤنبهم ويؤدبهم، حتى تابوا فأرسل بهم إلى عثمان فتابوا ، وخيرهم فاختاروا التفرق في البلاد ، فأرسلهم ، فلما سار كل واحد منهم إلى ما اختار أنشأوا الفتنة ، وألبوا الجماعة ، وجاءوا إليه بجملتهم ، فاطلع عليهم من حائط داره ووعظهم ، وذكرهم ، وورعهم عن دمه ، وخرج طلحة يبكي ويورع الناس ، وأرسل علي كرم الله وجهه ولديه .

وادعوا هؤلاء الخارجون على الصحابة أن أرسلتم إلينا ((أقبلوا إلى من غير سنة الله)) يعنون عثمان ، وقالوا : فلما جئنا قعد هذا في بيته يعنون عليًّا - وخرجت أنت تفيض عينيك ، والله لا برحنا حتى نريق دمه .

وهذا قهر عظيم، وافتئات الصحابة، وكذب في وجوههم، وبهت لهم، ولو أراد عثمان لكان مستنصرًا بالصحابة ، ولنصروه في لحظة .

وإنما جاء القوم مستجيرين متظلمين ، فوعظهم ، فاستشاطوا، فأراد الصحابة إليهم ، فأوعز إليهم عثمان أن لا يقاتل أحد بسببه أبدًا ، فاستسلم، وأسلموه برضاه.

وهي مسألة من الفقه كبيرة: هل يجوز للرجل أن يستسلم، أم يجب عليه أن يدافع عن نفسه ؟

وإذا استسلم وحرم على أحد أن يدافع عنه بالقتل ، هل يجوز لغيره أن يدافع عنه ولا يلتفت إلى رضاه ؟ اختلف العلماء فيها.

فلم يأتِ عثمان منكرًا لا في أول الأمر، ولا في آخره، ولا جاء الصحابة بمنكرة ، وكل ما سمعت من خبر باطل إياك أن تلتفت إليه.

- **بيان بطلان الدعاوى التي ادعاه البغاة على عثمان سندا ومتنا**

أما قولهم : جاء عثمان بمظالم ومناكير فباطل.

١- وأما ما ادعوه من ضربه لعمار وفتق امعائه وضربه وابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه، هذا كله زور ،وضربه لعمار إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبدًا .

ولا تشتغل بقول من حاول التبرير لأنها مبنية على باطل ، ولا يبنى حق على باطل، ولا تُذْهِب الزمان في مماشاة الجهال ، فإن ذلك لا آخر له .

٢- وأما جمع القرآن، فتلك حسنته العظمى، وخصلته الكبرى، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه .

روى الأئمة بأجمعهم أن زيد بن ثابت قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: أن عمر أتاه فقال: إن القتل استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء بالمواطن

فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر"، قال زيد : قال لي أبو بكر: أنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما كلفاني وأمراني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله وآله وسلم؟ قال عمر: ((هذا والله خير)) ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} حتى خاتمة براءة.

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر، حتى قدم حذيفة بن اليمان على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله ابن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشين الثلاثة: ((إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم)) ففعلوا .

حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق .

قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت أنه سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الأنصاري {مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} فألحقناها في سورتها في المصحف.

وأما ما روى أنه أحرقها أو خرقها -بالحاء المهملة أو الخاء المعجمة، وكلاهما جائز- إذا كان في بقائها فساد، أو كان فيها ما ليس من القرآن أو ما نسخ منه، أو على غير نظمه، وقد سلم في ذلك الصحابة كلهم .

إلا أنه روي عن ابن مسعود أنه خطب بالكوفة فقال: أما بعد فإن الله قال: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} ،

وإني غالٌّ مصحفي، فمن استطاع منكم أن يغلَّ مصحفه فليغلَّ، وأراد ابن مسعود أن يؤخذ بمصحفه، وأن يثبت ما يعلم فيه، فلما لم يفعل ذلك له قال ما قال، فأكرهه عثمان على رفع مصحفه، ومحا رسومه، فلم تثبت له قراءة أبدًا، ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الأرض .

٣- وأما ما ادعوا على عثمان من زيادة الحِمَى، فإن عثمان زاد فيه لما زادت الرعية، واجتاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة؛ لزيادة الحاجة.

٤- وأما نفيه أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل ، كان أبو ذر زاهدًا، وكان يقرِّع عمال عثمان، ويتلو عليهم {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} التوبة:٣٤ ، ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا، فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم ، وهو غير لازم ، قال ابن عمر وغيره من الصحابة وهو الحق : إن ما أديت زكاته ، فليس بكنز،

فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام ، فخرج إلى المدينة، فاجتمع إليه الناس، فجعل يسلك تلك الطرق، فقال له عثمان: لو اعتزلت ، معناه: إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس ، فإن للخلطة شروطًا وللعزلة مثلها، ومن كان على طريقة أبي ذر فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام في الشريعة، فخرج إلى الربذة زاهدًا فاضلًا، وترك جلة فضلاء ، وكل على خير وبركة وفضل ، وحال أبي ذر أفضل ، ولا تمكن لجميع الخلق ، فلو كانوا عليها لهلكوا، فسبحان مرتب المنازل .

ومن العجب أن يؤخذ عليه في أمر فعله عمر ، فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد ، فأطلقهم عثمان ؛ وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ووقع بين أبي ذر ومعاوية كلام ، وكان أبو ذر يطلق من الكلام ما لم يكن يقوله في زمان عمر ، فأعلم معاوية بذلك عثمان ، وخشي من العامة أن تثور منهم فتنة ، فإن أبا ذر كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها الناس كلهم ، وإنما هي مخصوصة ببعضهم، فكتب إليه عثمان : أن يقدم المدينة، فلما قدم اجتمع إليه الناس ، فقال لعثمان: (أريد الربذة) فقال لك افعل، فاعتزل، ولم يكن يصلح له إلا ذلك ؛ لطريقته .

٥- ووقع بين أبي الدرداء ومعاوية كلام ، وكان أبو الدرداء زاهدًا فاضلًا قاضيًا لهم ، فلما اشتد في الحق، وأخرج طريقة عمر في قوم لم يحتملوها عزلوه ، فخرج إلى المدينة.

وهذه كلها مصالح لا تقدح في الدين ، ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال، وأبو الدرداء وأبو ذر براءة من عاب ، وعثمان بريء أعظم براءة وأكثر نزاهة ، فمن روى أنه نفى وروى سببًا فهو كله باطل.

٦- وأما رد الحكم فلم يصح ، وقال علماؤنا في جوابه : قد كان أذن له فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : أي عثمان لأبي بكر وعمر، فقالا له : إن كان معك شهيد رددناه ، فلما ولي قضى بعلمه في رده ، وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو كان أباه ولا لينقض حكمه .

قلت : قصة نفي الحكم غير ثابت بسند صحيح ، ولو قدرنا ان النبي عليه الصلاة والسلام نفاه فلا يقتضي أن يكون النفي مدى الحياة ثم انه قد شفع في الحكم عند عثمان من قبل النبي عليه الصلاة والسلام شفاعته لذلك لم يكن عثمان مخالفاً للنبي عليه الصلاة والسلام . والله اعلم

٧- وأما ترك القصر: فاجتهاد، إذ سمع الناس افتتنوا بالقصر، وفعلوا ذلك في منازلهم، فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة، فتركها مصلحة خوف الذريعة ، مع أن جماعة من العلماء

قالوا : إن المسافر مخير بن القصر والإتمام، واختلف في ذلك الصحابة

٨- وأما معاوية : فعمر ولاه ، وجمع له الشامات كلها، وأقره عثمان، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ؛ لأنه ولي أخاه يزيد، واستخلفه يزيد ، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر وأقره ، فانظروا إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها، وأقدر سردها، ولن يأتي مثلها بعدها أبدًا

٩- وأما عبد الله بن كريز ، فولاه لأنه كريم العمات والخالات .

١٠- وأما تولية الوليد بن عقبة فلأن الناس – على فساد النيات – أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات، قال عثمان: ما وليته ؛ لأنه أخي، وإنما وليته؛ لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوأمة أبيه، ، والولاية اجتهاد ، وقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص، وقدم أقل

منه درجة ، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول من ولى بني أمية واستعان بهم

١١- وأما قولهم في مروان والوليد ، فشديد عليهم ، وحكمهم عليهما بالفسق فسق منهم .

مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه ، وأما التابعون فأصحابه في السن ، وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه ، واعتبار خلافه والالتفات إلى فتواه، والانقياد إلى روايته، وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم .

وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أنه الله سماه فاسقًا في قوله: {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ} الحجرات: ٦ فإنهافي قولهم نزلت فيه ، أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني المصطلق ، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم خالد بن

الوليد، فتثبت في أمرهم فبيَّن بطلان قوله ، وقد اختلف فيه، فقيل: نزلت في ذلك ، وقيل في علي، والوليد في قصة أخرى.

وقيل: إن الوليد سيق يوم الفتح في جملة الصبيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمسح على رؤوسهم وبرك عليهم، إلا هو فقال : إنه كان على رأسي خلوق ، فامتنع صلى الله عليه وآله وسلم من مسه ، فمن يكون في مثل هذه السن يرسل مصدقًا .

وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية ، وكيف يفسق رجل يتمثل هذا الكلام ؟ فكيف برجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟!

وأما حده في الخمر ، فقد حد عمر قدامة بن مظعون على الخمر وهو أمير وعزله ، ثم قيل له صالحه.

وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة .

وقد قيل لعثمان: إنك وليت الوليد لأنه أخوك لأمك أروى بنت كريز ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، قال: بل لأنه ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم حكيم البيضاء جدة عثمان وجدة الوليد لأمهما أروى
المذكورة أم حكيم توأمة عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأي حرج على المرء أن يولي أخاه أو قريبه

١٢- وأما عطاؤه خمس إفريقية لواحد فلم يصح ، على أنه قد ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه في الخمس ، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده ، وإن أعطاه لواحد جائز، وقد بينا ذلك في مواضعه .

١٣- وأما قولهم إنه ضرب بالعصا، فما سمعته ممن أطاع أو عصى، وإنما هو باطل وزر .

١٤- وأما علوه على درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما سمعته ممن فيه تقية ، وإنما هي إشاعة منكر؛ ليروي ويذكر، فيتغير قلب من يتغير. قال علماؤنا : ولو صح

ذلك فما في هذا ما يحل دمه، ولا يخلو أن يكون ذلك حقًّا، فلم تنكره الصحابة عليه إذ رأيت جوازه ابتداء أو لسبب اقتضى ذلك. وإن كان لم يكن فقد انقطع الكلام.

١٥- وأما انهزامه يوم حنينن وفراره يوم أحد، ومغيبه عن بدر وبيعة الرضوان، فقد بيَّن عبد الله بن عمر وجه الحكم في شأن البيعة وبدر وأحد، وأما يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن لم يجر في الأمر تفسير من بقى ممن مضى في الصحيح، وإنما هي أقوال، منها أنه ما بقي معه إلا العباس وابناه عبد الله وقثم، فناهيك بهذا الاختلاف، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة، وقد عفا الله عنه ورسوله، فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون، أخرج البخاري: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر عن محاسن عمله وقال: لعل ذلك يسؤوك؟ قال: نعم. قال: فأرغم الله بأنفك. ثم سأله عن علي، فذكر من محاسن عمله، وقال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي

صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: لعل ذلك يسؤوك؟ قال: أجل. قال: فأرغم الله بأنفك. انطلق فاجهد على جهدك. وقد تقدم في حديث: ((بني الإسلام على خمس)) زيادة فيه للبخاري في علي وعثمان.

وقد أخرج البخاري أيضًا من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت، فرأى قومًا جلوسًا، فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم، فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعالَ أبين لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت مريضة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن لك أجر رجل ممن شهد

بدرًا وسهمه)) ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعث مكانه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده اليمنى: ((هذه يد عثمان)) ، فضرب بها على يده فقال: ((هذه لعثمان)) ثم قال له ابن عمر رضي الله عنه : ((اذهب بها الآن معك)) .

١٧- وأما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان، فإن ذلك باطل وإن كان لم يفعل فالصحابة متوافرون ، والأمر في أوله .

وقد قيل: إن الهرمزان سعى في قتل عمر ، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه. وكان قتل عبيد الله له ، وعثمان لم يَلِ بعد الخلافة ، ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقًّا ، لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله.

١٨- وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع غلامه -ولم يقل أحد قط أنه كان غلامه- إلى عبد الله بن أبي سرح يأمره بقتل حامليه ، فقد قال لهم عثمان: إما أن تقيموا شاهدين علي بذلك ، وإلا فيميني أني ما كتبت ولا أمرت . وقد يكتنز على لسان الرجل، ويضرب على خطه، وينقش على خاتمه.
فقالوا : تسلم لنا مروان، فقال : لا أفعل ، ولو سلمه لكان ظالما ، وأنما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه ، فما ثبت كان هو منفذه وآخذه إن كان له أخذه والممكن لمن يأخذه بالحق ومع سابقته وفصيلته ومكانته لم يثبت عليه ما يوجب خلعه فضلا عن قتله .
وأمثل ما روى في قصته انه بالقضاء السابق تألب عليه قوم لأحفاد اعتقدوها ممن طلب أمرا فلم يصل اليه وحسد حسادة اظهر داءها وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين وإيثار العاجلة على الآجلة وإذا نظرت اليهم ذلك صريح ذكرهم على دناءة قدرهم وبطلان أمرهم .

كان الغافقي المصري أمير القوم وكنانة بن بشر التجيبي وسودان بن حمران، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وحكيم بن جبلة من أهل البصرة، ومالك بن الحارث الأشتر في طائفة هؤلاء رؤوسهم، فناهيك بغيرهم ، وقد كانوا أثاروا فتنة ، فأخرجهم عثمان بالاجتهاد، وصاروا في جماعتهم ، عند معاوية، فذكرهم بالله وبالتقوى لفساد الحال وهتك حرمة الأمة، حتى قال له زيد بن صوحان يومًا- فيما يروى-:

((كم تكثر علينا من الأمرة وبقريش، فما زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها وقريش تجاهد)) فقال له معاوية: ((لا أم لك، أذكرك بالإسلام وتذكرني بالجاهلية، قبح الله من كثر على أمير المؤمنين بكم ، فما أنتم ممن ينفع أو يضر. أخرجوا عني)) .

وأخبره ابن الكوا بأهل الفتنة في كل بلد ومؤامراتهم .

فكتب إلى عثمان يخبره بذلك ، فأرسل إليه بأشخاصهم إليه ، فأخرجهم معاوية ، فمروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد،

فحبسهم، ووبخهم؛ وقال لهم: ((اذكروا لي ما كنتم تذكرون لمعاوية)) ، وحصرهم، وأمشاهم بين يديه أذلاء حتى تابوا بعد حول .

وكتب إلى عثمان بخبرهم ، فكتب إليه أن سرِّحْهم إلي، فلما مثلوا بين يديه جددوا التوبة، وحلفوا على صدقهم، وتبرأوا مما نسب إليهم فخيرهم حيث يسيرونه، فاختار كل واحد ما أراد من البلاد : كوفة، وبصرة، ومصر، فأخرجهم، فما استقروا في جنب ما ساروا حتى ثاروا وألبوا، حتى انضاف إليهم جمع .

وساروا إليه : على أهل مصر عبد الرحمن بن عدس البلوي ، وعلى أهل البصرة حكيم بن جبلة ، وعلى أهل الكوفة الأشتر مالك بن الحارث النخعي. فدخلوا المدينة هلال ذي القعدة سنة خمس وثلاثين .

فاستقبلهم عثمان، فقالوا: ادع بالمصحف، فدعا به. فقالوا : افتح السابعة –يعني يونس– فقالوا: اقرأ ، فقرأ حتى انتهى إلى

قوله: {آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُوْنَ} قالوا له : قف. قالوا له : أرايت ما حميت من الحمى، أذن الله لك أم علي الله افتريت ؟ قال : امضه، إنما نزلت في كذا، وقد حمى عمر، وزادت الإبل فزدت.

فجعلوا يتبعونه هكذا، وهو ظاهر عليهم، حتى قال لهم: ماذا تريدون؟ فأخذوا ميثاقه، وكتبوا عليه ستًّا أو خمسًا: أن المنفي يقلب والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، فكتبوا ذلك في كتاب، وأخذ عليهم أن لا يشقوا عصًا، ولا يفرقوا جماعة، ثم رجعوا راضين ، وقيل : أرسل إليهم عليًّا فاتفقوا على الخمس المذكورة ورجعوا راضين ، فبينما هم كذلك ، إذا راكب يتعرض لهم ، ثم يفارقهم مرارًا . قالوا: مالك ؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ففتشوه، فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يصلبهم ويقطع أيديهم وأرجلهم .

فأقبلوا حتى قدموا المدينة ، فأتوا عليًّا فقالوا له: ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا ؟ وقد أحل الله دمه، قالوا له: فقم معنا إليه، قال والله لا أقوم معكم، قالوا له: فلم كتبت إلينا ؟ قال: والله ما كتبت إليكم ، فنظر بعضهم إلى بعض ، وخرج علي من المدينة.

فانطلقوا إلى عثمان، فقالوا له: كتبت فينا كذا . قال لهم: إما أن تقيموا اثنين من المسلمين ، أو بينة فلم يقبلوا ذلك منه ، ونقضوا عهده ، وحصروه.

وقد روي أن عثمان جيء إليه بالأشتر، فقال له: يريد القوم منك إما أن تخلع نفسك، أو تقص منها، أو يقتلوك. فقال: ((أما خلعي، فلا أترك أمة محمد بعضها على بعض ، وأما القصاص، فصاحباي قبلي لم يقصا من أنفسهما ، ولا يحتمل ذلك بدني)) .

وروي أن رجلًا قال له : نذرت دمك ، قال: له: خذ جنبي ، فشرط فيه بالسيف شرطة أراق منه دمه ، ثم خرج الرجل وركب راحلته وانصرف في الحين .

ولقد دخل عليه ابن عمر، فقال له عثمان: انظر ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلع نفسك أو نقتلك. قال له ابن عمر: أمخلد أنت في الدنيا ؟ قال: لا، قال: هل يزيدون على أن يقتلوك ؟ قال: لا، قال : هل يملكون لك جنة أو نارًا ؟ قال: لا، قال : فلا تخلع قميص الله عنك، فتكون سنة، كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه .

وقد أشرف عليهم عثمان، واحتج عليهم بالحديث الصحيح في بنيان المسجد، وحفر بئر رومة، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين رجف بهم أحد. وأقروا له به في أشياء ذكرها وقد ثبت أن عثمان أشرف عليهم وقال: أفيكم ابنا محدوج؟ أنشدكما الله ألتسما تعلمان أن عمر قال : إن ربيعة فاجر أو غادر، وإني والله لا أجعل فرائضهم وفرائض قوم جاءوا من

مسيرة شهر، وإنما مهر أحدهم عند طبيبه ، وإني زدتهم في غزاة واحدة خمسمائة ، حتى ألحقتهم بهم ؟ قالوا: بلى.

قال : أذكركما الله ألستما تعلمان أنكما أتيتماني، فقلتما: إن كندة آكلة رأس ، وإن ربيعة هي الرأس، وإن الأشعث بن قيس قد أكلهم ، فنزعته واستعملتكما؟ قالا : بلي.

قال: اللهم إنهم كفروا معروفي، وبدلوا نعمتي ، فلا ترضهم عن إمامهم، ولا ترض إمامًا عنهم.

وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: كنت مع عثمان في الدار، فقال: أعزم على كل من رأى أن عليه سمعًا وطاعة إلا كف يده وسلاحه .

ثم قال: قم يا ابن عمر- وعلى ابن عمر سيفه متقلدا- فأخبر به الناس فخرج ابن عمر. ودخلوا فقتلوه .

وجاءه زيد بن ثابت فقال له: إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين. قال عثمان لا حاجة لي في ذلك كفوا .

وقال له أبو هريرة: اليوم طاب الضرب معك. قال: عزمت عليك لتخرجن ، وكان الحسن بن علي آخر من خرج من عنده، فإنه جاء الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان، فعزم عليهم في وضع سلاحهم، وخروجهم، ولزوم بيوتهم.

فقال له الزبير ومروان: نحن نعزم على أنفسنا ألا نبرح، ففتح عثمان الباب، ودخلوا عليه في أصح الأقوال .فقتله المرء الأسود .

وقيل :رجل من أهل مصر يقال له حمار، فسقطت قطرة من دمه على المصحف على قوله: {فَسَيَكْفِيْكَهُم} فإنها فيه ما حكت إلى الآن.

وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت: ((غضبت لكم من السوط ، ولا أغضب لعثمان من السيف ؟ استعتبتموه حتى إذا تركتموه كالفل المصفى، ومصتموه موص الإناء ، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس ، ثم قتلتموه)) قال مسروق :

قلت لها: ((هذا عملك، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه)) . فقالت عائشة: ((والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم سوادًا في بياض)) . قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها .

وقد روي أنه ما قتله أحد إلا أعلاج من أهل مصر ،قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: فهذا أشبه ما روي في الباب.

- **الحكم الفقهي في موقف عثمان من الدفاع أو الإستسلام**

وبه يتبين -وبأصل المسألة سلوك سبيل الحق- أن أحدًا من الصحابة لم يسع عليه، ولا قعد عنه. ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفًا بلديين أو أكثر من ذلك، ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة.

وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها: هل يلقى بيده، أو يستنصر، وأجاز بعضهم أن يستسلم ويلقى بيده اقتداء بفعل

عثمان، وبتوصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك في الفتنة

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: ولقد حكمت بين الناس فألزمتهم الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يكُ ترى في الأرض منكر، واشتد الخطب على أهل الغصب، وعظم على الفسقة الكرب فتألبوا وألبوا، وثاروا إليَّ واستسلمت لأمر الله، وأمرت كل من حولي ألا يدافعوا عن داري، وخرجت على السطوح بنفسي، فعاثوا علي، وأمسيت سليب الدار، ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنت قتيل الدار.

وكان الذي حملني على ذلك ثلاثة أمور: أحدها وصاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتقدمة، والثاني الاقتداء بعثمان، والثالث سوء الأحدوثة التي فر منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤيدة بالوحي فإن من غاب عني، بل من حضر

من الحسدة معي، خفت أن يقول: إن الناس مشوا مستعينين به مستغيثين له، فأراق دمائهم.

وأمر عثمان كله سنة ماضية، وسيرة راضية، فإنه تحقق أنه مقتول بخبر الصادق له بذلك، وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه، وأنه شهيد.

وروى أنه قال له في المنام : إن شئت نصرتك، أو تفطر عندنا الليلة .

وقد انتدبت المردة والجهلة إلى أن يقولوا: إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغبًا مؤلبًا، وبما جرى عليه راضيًا، واخترعوا كتابًا فيه فصاحة وأمثال كتب عثمان به مستصرخًا إلى علي، وذلك كله مصنوع؛ ليوغر قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين .

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: فالذي ينخل من ذلك أن عثمان مظلوم، محجوج بغير حجة ، وأن الصحابة برآء من

دمه بأجمعهم ؛ لأنهم أتوا إرادته ، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه.

ولقد ثبت أن عبد الله بن الزبير قال لعثمان: إنا معك في الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منهم، فائذن لنا، فقال: أذكر الله رجلًا أراق لي دمه وقال سليط بن أبي سليط: نهانا عثمان عن قتالهم، فلو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم عن أقطارها .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة: كنت مع عثمان في الدار فقال: أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعًا وطاعة إلا كف يده وسلاحه، فإن أفضلكم غناء من كف يده وسلاحه .

وثبت أن الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر ومروان كلهم شاك في السلاح حتى دخلوا الدار، فقال عثمان: أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم .

فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى في قدره ما مضى، علم أن الحق ألا يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرًا وعلمًا وتقىً ودينًا.

خلافة علي

فانعقدت له البيعة، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي لجرى على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقه، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضًا عليه، فانقاد إليه.

وعقد له البيعة طلحة، فقال الناس : بايع عليًّا يد شلاء، والله لا يتم هذا الأمر.

فإن قيل: بايعا مكرهين . قلنا: حاشا لله أن يكرها، لهما ولمن بايعهما، ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك؛ لأن واحدا أو اثنين تنعقد البيعة بهما وتتم ، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعًا، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا في بيعة الإمام.

وأما من قال يد شلاء وأمر لا يتم، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع، ولم يكن كذلك .

فإن قيل : فقد قال طلحة: ((بايعت واللج على قفى)) قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل الحديث في (القفا) لغة

(قفى) كما يجعل في وتلك لغة هذيل لا قريش فكانت كذبة لم تدبر.

وأما قولهم (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لفهم فيه، فإن يدًا شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتم لها كل أمر ، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه. وجهل المبتدع ذلك فاخترع ما هو حجة عليه.

فإن قيل: بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان، قلنا: هذا لا يصح في شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب، وتقع الدعوى، ويكون الجواب، وتقوم البينة، ويقع الحكم، فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق، أو فعل غير محقق، أو سماع كلام ، فليس ذلك في دين الإسلام .

قالت العثمانية: تخلف عنه من الصحابة جماعة، منهم سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة، وابن عمر، وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم.

قلنا: أما بيعته فلم يتخلف عنها، وأما نصرته فتخلف عنها قوم ، منهم من ذكرتم لأنها كانت مسألة اجتهاد، فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره .

- **مجيء أصحاب الجمل إلى البصرة لتأليف الكلمة وللتوصل بذلك إلى إقامة الحد على قتلة عثمان**

أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه.

أما من قال خرجوا لخلع علي أو لتسكين الثائرة وليتمكنوا من قتلة عثمان فكله باطل وأما بيعتة صحابة النبي لعلي كرها فباطل ايضاً

وأما صحيح الأخبار فهو أنهم خرجوا لينظروا في جمع طوائف المسلمين، وضم تشردهم ، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا.

وأما خلعهم فباطل ؛ لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع ، فيمكن أن يولى واحد أو اثنان، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان.

وأما خروجهم في أمر قتلة عثمان فيضعف؛ لأن الأصل قبله تأليف الكلمة. ويمكن أن يجتمع الأمران .

ويروى أن تغيبهم قطعًا للشعب بين الناس ، فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم، فيرعوا حرمة نبيهم، واحتجوا عليها٢٥٥ بقول الله تعالى: {لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} النساء:١١٤

وأحس بهم أهل البصرة، فحرض من كان بها من المتألبين على عثمان الناس ، وقالوا: أخرجوا إليهم حتى تروا ما جاءوا إليه، فبعث عثمان بن حنيف حكيم بن جبلة ، فلقى طلحة والزبير بالزابوقة، فقتل حكيم ، ولو خرج مسلمًا مستسلمًا لا مدافعًا لما أصابه شيء ، وأي خير كان له في المدافعة، وعن

أي شيء كان يدافع ؟ وهم ما جاءوا مقاتلين ولا ولاة، وإنما ساعين في الصلح، راغبين في تأليف الكلمة، فمن خرج إليهم ودافعهم وقاتلهم دافعوا عن مقصدهم، كما يفعل في سائر الأسفار والمقاصد.

فلما وصلوا إلى البصرة تلقاهم الناس بأعلى المربد مجتمعين ، حتى لو رمى حجر ما وقع إلا على رأس إنسان، فتكلم طلحة وتكلمت عائشة رضي الله عنها.

- **كتابة الكتاب بين عثمان بن حنيف وأصحاب الجمل بالكف عن القتال ووصول علي إلى البصرة ووقع التفاهم بينه وبين أصحاب الجمل :**

وكثر اللغط ، وطلحة يقول: أنصتوا فجعلوا يركبونه ولا ينصتون ، فقال: أُفٍّ، أُفٍّ، فراش نار، وذباب طمع، وانقلبوا على غير بيان .

وانحدروا إلى بني نهد ، فرماهم الناس بالحجارة حتى نزلوا الجبل ، والتقى طلحة والزبير وعثمان بن حنيف- عامل

علي، على البصرة– وكتبوا بينهم أن يكفوا عن القتال، ولعثمان دار الإمارة والمسجد وبيت المال، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاءا، ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقدم علي .

وروي أن حكيم بن جبلة عارضهم حينئذ، فقتل بعد الصلح .وقدم علي البصرة ، وتدانوا ليتراءوا ، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء ، واشتجر بينهم الحرب، وكثرة الغوغاء على البوغاء ؛ كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا تقف الحال على بيان ، ويخفى قتلة عثمان، وإن واحدًا في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف.

وقد روي أن مروان لما وقعت عينه في الاصطفاف على طلحة قال: لا أطلب أثرًا بعد عين، ورماه بسهم فقتله ، ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت.

وقد روي أنه أصابه سهم بأمر مروان، لا أنه رماه.

وقد خرج كعب بن سور بمصحف منشور بيده يناشد الناس أن لا يريقوا دماءهم ، فأصابه سهم غرب فقتله ، ولعل طلحة مثله.

ومعلوم أنه عند الفتنة، وفي ملحمة القتال يتمكن أولوا الإحن والحقود، من حلِّ العرى ونقض العهود، وكانت آجالا حضرت، ومواعد انتجزت .

فإن قيل: لم خرجت عائشة رضي الله عنها وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لهن في حجة الوداع ((هذه ثم ظهور الحصر)) . قلنا: يا عقول النسوان ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان ، فلم تقولون ما لا تعلمون ؟ وتكررون ما وقع الانفصال عنه كأنكم لا تفهمون ؟ {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ} .

وأما الذي ذكرتم من الشهادة على ماء الحوأب، فقد بؤتم في ذكرها بأعظم حوب ، ما كان قط شيء مما ذكرتم، ولا قال

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الحديث، ولا جرى ذلك الكلام، ولا شهد أحد بشهادتهم ، وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل وسوف تسألون.

موقف علي من قتلة عثمان

أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعًا، وأما كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعًا، وأما الصواب فيه فمع علي؛ لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه، وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه، فيقوم له عذر في الدنيا

حرب صفين ودعوى الفريقين وما اخترع في ذلك من أكاذيب

ولئن اتهم علي بقتل عثمان فليس في المدينة أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا وهو متهم به، أو

قل معلوم قطعًا أنه قتله ، لأن ألف رجل جاءوا لقتل عثمان لا يغلبون أربعين ألفًا.

وهبك أن عليًّا وطلحة والزبير تضافروا على قتل عثمان، فباقي الصحابة من المهاجرين والأنصار، ومن اعتد فيهم وضوى إليهم ماذا صنعوا بالقعود عن نصرته ؟.

فلا يخلو أن يكون لأنهم رأوا أولئك طلبوا حقًّا، وفعلوا حقًّا، فهذه شهادة قائمة على عثمان فلا كلام لأهل الشام. وإن كان قعدوا عنه استهزاء بالدين، وأنهم لم يكن لهم رأس مال في الحال، ولا مبالاة عندهم بالإسلام ولا فيما يجري فيه من اختلال، فهي ردة ليست معصية؛ لأن التهاون بحدود الدين وإسلام حرمات الشريعة للتضييع كفر، وإن كانوا قعدوا لأنهم لم يروا أن يتعدوا حد عثمان وإشارته فأي ذنب لهم فيه؟ وأي حجة لمروان وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين وابن عمر وأعيان العشرة معه في داره يدخلون إليه ويخرجون عنه في الشكة والسلاح -والمطالبون ينظرون؟ ولو كان بهم

قوة أو أووا إلى ركن شديد لما مكنوا أحدًا أن يراه منهم ولا يداخله، وإنما كانوا نظارة، فلو قام في وجوههم الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير ما جسروا، ولو قتلوهم ما بقي على الأرض منهم حي.

ولكن عثمان سلَّم نفسه، فتُرك ورأيه، وهي مسألة اجتهاد كما قدمنا.

وتالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبدًا، وكان يكون الوقت أمكن للطلب، وأرفق في الحال، وأيسر وصولًا إلى المطلوب .

والذي يكشف الغطاء في ذلك أن معاوية لما صار إليه الأمر لم يمكنه أن قُتل من قتلة عثمان أحدًا ، إلا بحكم، حتى انتهى الأمر إلى زمان الحجاج، وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة، فتبين لكم أنهم ما كانوا في ملكهم أن يفعلوا ما أضحوا له يطلبون.

والذي تثلج به صدوركم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر في الفتن، وأشار وبين. وأنذر الخوارج وقال: ((تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق)) رواه مسلم

فبين أن كل طائفة منهما تتعلق بالحق ، ولكن طائفة علي أدنى إليه . وقال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} الحجرات: ٩ فلم يخرجهم عن الإيمان بالبغي بالتأويل، ولا سلبهم اسم الأخوة بقوله بعده: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} الحجرات: ١٠ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في عمار: ((تقتله الفئة الباغية)) رواه البخاري ومسلم

وقال في الحسين: ((ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) رواه البخاري ومسلم فحسن له خلعه نفسه وإصلاحه.

وكذلك يروى أنه أذن في الرؤيا لعثمان أن يستسلم ويفطر عنده الليلة كما في مسند احمد .

فهذه كلها أمور جرت على رسم النزاع، ولم تخرج عن طريق الفقه، ولا تعدت سبيل الاجتهاد الذي يؤجر فيه المصيب عشرة.

وما وقع من روايات في كتب التاريخ -عدا ما ذكرناه- فلا تلتفوا إلى حرف منها، فإنها كلها باطلة.

رواية الدارقطني خبر التحكيم فضحت الأكاذيب المفتراة

في عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه عزل عمرو معاوية ذكر الدارقطني بسنده إلى حصين بن المنذر: لما عزل عمرو معاوية جاء حصين بن المنذر فضرب فسطاطه قريبًا من فسطاط معاوية، فبلغ ثناه معاوية ، فأرسل إلي فقال : إنه

بلغني عن هذا (أي عن عمرو) كذا وكذا ، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه، فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا ، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذي توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راضٍ، قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغنِ عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما. قال: فكانت هي التي قتل معاوية منها نفسه. فأتيته فأخبرته (أي فأتى حصين معاوية فأخبره) أن الذي بلغني عنه كما بلغه. فأرسل إلى ابن الأعور الذكواني فبعثه في خيله، فخرج يركض فرسه ويقول: أين عدو الله، أي هذا الفاسق؟

قال أبو يوسف : أظنه قال: (إنما يريد حوباء نفسه) فخرج

عمرو إلى فرس تحت فسطاطه فجال في ظهره عريانًا، فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول: (إن الضجور قد تحتلب العلبة، يا معاوية إن الضجور قد تحتلب العلبة) ، فقال معاوية: (أحسبه ، وتزيد الحالب فتدق أنفه ، وتكفأ إناءه).

قال الدارقطني ، وذكر سندًا عدلًا وساق الحديث : ربعي عن أبي موسى أن عمرو بن العاص قال: "والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال، وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا ونقصنا رأيهما. وايم الله ما كانا مغبونين ولا ناقصي الرأي، ولئن كانا أمرأين يحرم عليهما هذا المال الذي أصبناه بعدهما لقد هلكنا، وايم الله ما جاء الوهم إلا من قبلنا"

بيعة الحسن وصلحه مع معاوية

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: أما قول الرافضة أنه عهد إلى الحسن فباطل. ما عهد إلى أحد ، ولكن البيعة للحسن منعقدة ، وهو أحق من معاوية ومن كثير من غيره. وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه من دعاء الفئة الباغية إلى الإنقياد للحق والدخول في الطاعة. فآلت الوساطة إلى أن تخلى عن الأمر صيانة لحقن دماء الأمة وتصديقا لوعد نبي الملحمة حيث قال على المنبر: ((ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) البخاري .

فنفذ الميعاد، وصحت البيعة لمعاوية ، وذلك لتحقيق رجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فمعاوية خليفة ، وليس بملك ، فإن قيل: فقد روى عن سفينة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((الخلافة ثلاثون سنة، ثم تعود ملكا))مسند احمد ، فإذا عددنا من ولاية أبي بكر إلى تسليم الحسن كانت ثلاثين سنة لا تزيد ولا تنقص يوما. قلنا:

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به

في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

هذا الحديث في ذكر الحسن بالبشارة والثناء عليه، لجريان الصلح علي يديه ، وتسليم الأمر لمعاوية ، عقد منه له .

وهذا حديث لا يصح. ولو صح فهو معارض بهذا الصلح المتفق عليه، فوجب الرجوع إليه .فإن قيل: ألم يكن في الصحابة أقعد بالأمر من معاوية ؟

مزايا معاوية وسيرته الممتازة

اجتمعت في معاوية خصال: وهي أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها، لما رأى من حسن سيرته، وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور، وإصلاح الجند والظهور على العدو وسياسة الخلق. وقد شهد له في صحيح، الحديث بالفقه، وشهد بخلافته في حديث أم حرام أن ناسا من أمنه يركبون ثبج البحر الأخضر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة، وكان ذلك في ولايته.

ويحتمل أن تكون مراتب في الولاية: خلافة ثم ملك . فتكون ولاية الخلافة للأربعة، وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية . وقد قال الله في داود- وهو خير من معاوية -: {وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ} البقرة:٢٥١ فجعل النبوة ملكا ، فلا تلتفتوا إلى أحاديث ضعف سندها ومعناها . ولو اقتضت الحال النظر في الأمور لكان- والله أعلم- رأى آخر

انعقاد البيعة لمعاوية على الوجه الذي وعد به رسول الله للجمهور:

انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التي شاءها الله، على الوجه الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مادحا له، راضيا عنه، راجيا هدنة الحال فيه، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) رواه البخاري .

وقد تكلم العلماء في إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه، فلست المسألة في الحد الذي تجعله فيه العامة، وقد بيناها في موضعها.

حجر بن عدي والأسباب التي حملت معاوية على قتله

فإن قيل: فقد قتل حجر بن عدي- وهو من الصحابة مشهور بالخير- صبرا أسيرا بقول زياد ، وبعثت إليه عائشة في أمره فوجدته قد فات بقتله. قلنا : قد علمنا قتل حجر كلنا، واختلفنا: فقائل يقول قتله ظلما، وقائل يقول قتله حقا .

فإن قيل: الأصل قتله ظلما إلا إذا ثبت عليه ما يوجب قتله.

قلنا: الأصل أن قتل الإمام بالحق ، فمن ادعى أنه بالظلم فعليه الدليل ، ولو كان ظلما محضا لما بقى بيت إلا لعن فيه معاوية ، وهذه مدينة السلام دار خلافة بني العباس- وبينهم وبين بني أمية ما لا يخفى على الناس- مكتوب على أبواب مساجدها: خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم معاوية خال المؤمنين رضي الله عنهم .

ولكن حجرا- فيما يقال رأى من زياد أمورا منكرة فحصبه، وخلعه، واراد أن يقيم الخلق للفتنة، فجعله معاوية ممن سعى في الأرض فسادا.

وقد كلمته عائشة في أمره حين حج، فقال لها: ((دعيني وحجرا حتى نلتقي عند الله)) رواه الطبراني .

وأنتم معشر المسلمين أولى أن تدعوهما حتى يقفا بين يدي الله مع صاحبهما العدل الأمين المصطفى المكين، وانتم ودخولكم حيث لا تشعرون، فما لكم تسمعون ؟

أهلية يزيد للولاية

فإن قيل: قد دس على الحسن من سمه ، قلنا: هذا محال من وجهين ، أحدهما : أنه ما كان ليتقي من الحسن بأسا وقد سلم الأمر.

والثاني : أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله فكيف تحمولنه– بغير بينة – على أحد من خلقه في زمان متباعد لم تثق فيه بنقل ناقل ، بأيدي قوم ذوي أهواء ، وفي حال فتنة وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي ، فلا يقبل منها إلا الصافي، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم.

فإن قيل: فقد عهد إلى يزيد وليس بأهل وجرى بينه وبين عبد الله بن عمر وابن الزبير والحسين ما نصه :

– عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه وعن غيره: لما أجمع معاوية أن يبايع لابنه يزيد حج، فقدم مكة في نحو ألف رجل. فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر. فلما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه. ثم ذكر يزيد فقال: من أحق بهذه الأمر . ثم ارتحل فقدم مكة فقضى طوافه، ودخل منزله، فبعث إلى ابن عمر، فتشهد وقال: أما بعد يا ابن عمر، فقد كنت تحدثني أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك أمير ، وإني

أحذرك أن تشق عصا المسملين، وأن تسعى في فساد ذات بينهم. فلما سكت تكلم ابن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنه قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير منهم، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار. وإنك تحذر أن أشق عصا المسلمين، ولم أكن لأفعل، وإنما أنا رجل من المسلمين، فإذا اجتمعوا على أمرنا فإنما أنا واحد منهم. فخرج ابن عمر ، وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر، فتشهد ثم أخذ في الكلام ، فقطع عليه كلامه، فقال: إنك والله لوددت أنا وكلناك في أمرا بنك إلى الله ، وإنا والله لا نفعل ، والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين أو لتفرنها عليك جذعة ثم وثب فقال معاوية : اللهم اكفينيه بما شئت. ثم قال: على رسلك أيها الرجل، لا تشرفن لأهل الشام ، فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك ، حتى أخبر العشية أنك قد بايعت ، ثم كن بعد ذلك على ما بدا لك من أمرك.

ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال: يا ابن الزبير، إنما أنت ثعلب رواغ كلما خرج من جحر دخل في آخرن وإنك عمدت إلى هذين الرجلين فنفخت في مناخرهما ، فقال ابن الزبير: إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها ، وهلم ابنك فلنبايعه ، أرأيت إذا باعيت ابنك معك لأيكما نسمع ، لأيكما نطيع ؟ لا نجتمع البيعة لكما أبدا ، ثم قام ، فخرج معاوية فصعد المنبر فقال: إنا وجدناه أحاديث الناس ذوات عوار ، زعموا أن ابن عمر وان الزبير وابن ابي بكر لم يبايعوا يزيد ، قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له ، فقال أهل الشام : لا والله ، لا نرضى حتا يبايعوا على رؤوس الأشهاد، وإلا ضربنا أعناقهم.

فقال: سبحان الله، ما أسرع الناس إلى قري بالشرب لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم ، ثم نزل.

فقال الناس: بايعوا ، ويقولون هم: لم نبايع ، ويقول الناس: قد بايعتهم.

-وروى وهب من طريق أخرى قال: خطب معاوية فذكر ابن عمر فقال: والله ليبايعين أو لأقتلنه ، فخرج عبد الله بن عمر إلى أبيه وسار إلى مكة ثلاثا وأخبره، فبكى ابن عمر، فبلغ الخبر إلى عبد الله ابن صفوان: فدخل على ابن عمر فقال: أخطب هذا بكذا؟ قال: نعم.

قال: فما تريد، أتريد قتاله؟ قال: يا ابن صفوان، الصبر خير من ذلك.

فقال ابن صفوان: والله لئن أراد ذلك لأقاتلنه. فقدم معاوية مكة فنزل ذا طوى ، وخرج إليه عبد الله بن صفوان فقال: أنت تزعم أنك تقتل ابن عمر إن لم يبايع لابنك ؟ قال: أنا أقتل ابن عمر؟ إني والله لا أقتله.

-وروى وهب من طريق ثالث قال: إن معاوية لما راح عن بطن مر قاصدا إلى مكة قال لصاحب حرسه: لا تدع أحدا يسير معي إلا من حملته.

فخرج يسير وحده، حتى إذا كان وسط الأراك لقيه الحسن بن علي، فوقف وقال: مرحبا وأهلا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد شباب المسلمين ، دابة لأبي عبد الله يركبها. فأتى ببرذون ، فتحول عليه ، ثم طلع عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال مرحبا بابن شيخ قريش وسيدهم وابن صديق هذه الأمة . دابة لأبي محمد يركبها، فأتى ببرذون فركبه ، ثم طلع ابن عمر فقالك مرحبا وأهلا بصاحب رسول الله وابن الفاروق وسيد المسلمين ، ودعا له بدابة فركبها، ثم طلع ابن الزبير فقال: مرحبا وأهل بابن حواري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن الصديق وابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ودعا له بدابة فركبها. ثم أقبل يسير بينهم لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة ، ثم كانوا أول داخل، وآخر خارج ليس في الرض صباح إلا لهم فيه حباء وكرامة، ولا يعرض لهم بذكر شيء مما هو فيه حتى قضى نسكه وترحلت أثقاله وقرب مسيره إلى الشام وأنخيت رواحله،

فأقبل بعض القوم على بعض فقالوا: ايها القوم لا تخدعوا، إنه والله ما صنع هذا لحبكم ولا لكرامتكم ولا صنعه إلا لما يريد، فأعدوا له جوابا. وأقبلوا على الحسين فقالوا: أنت يا أبا عبد الله. قال: وفيكم شيخ قريش وسيدها؟ وهو أحق بالكلام. فقالوا: أنت يا أبا محمد- لعبد الرحمن بن أبي بكر- فقال: لست هناك، وفيكم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن سيد المسلمين- يعني ابن علي- فقالوا لابن عمر: أنت! فقال: ليست بصاحبكم، ولكن ولوا الكلام ابن الزبير يكفيكم. قالوا: أنت يابن الزبير. قال: نعم، إن أعطيتموني عهودكم ومواثيقكم أن لا تخالفوني كفيتكم الرجل. فقالوا فلك ذلك. فخرج الإذن، فأذن لهم. فدخلوا.

فتكلم معاوية فحمد الله واثنى عليه ثم قال: لقد علمتم سيرتي فيكم، وصلتي لأرحامكم، وصفحي عنكم، وملي لما يكون منكم، ويزيد ابن أمير المؤمنين أخوكم وابن عمكم وأحسن الناس لكم رأيا. وإنما أرادت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونوا

أنتم الذي تنزعون وتؤمرون وتجبون وتقسمون لا يدخل عليكم في شيء من ذلك.

فسكت القوم. فقال: ألا تجيبوني؟ فسكت القوم. فقال: ألا تجيبوني. فسكتوا. فأقبل على ابن الزبير قال: هات يا ابن الزبير، فإنك لعمري صاحب خطبة القوم. فقال: نعم يا أمير المؤمنين أخيرك بين ثلاث خصال أيها أخذت فهي لك رغبة.

قال: لله أبوك، اعرضهن. قال: إن شئت صنعت ، ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن شئت صنعتما صنع أبو بكر فهو خير هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن شئت صنعت ما صنع عمر فهو خير هذه الأمة بعد أبي بكر. قال: لله أبوك، ما صنعوا؟ قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يستخلف أحدا، فارتضى المسلمون أبا بكر. فإن شئت أن تدع أمر هذه الأمة حتى يقضي الله فيها قضاءه فيختار المسلمون لأنفسهم. فقال: إليه، ليس فيكم اليوم مثل أبي بكر، وإني لا

آمن عليكم الاختلاف. قال: فاصنع كما صنع أبو بكر، عهد إلى رجل من قاصبة قريش ليس من بني أمية فاستخلفه. قال: لله أبوك. الثالثة؟ قال: تصنع ما صنع عمر، جعل الأمر شورى في ستة نفر من قريش ليس أحد منهم من وليد أبيه. قال هل عندك غير هذا؟ قال: لا. قال: فأنتم؟ قالوا: ونحن أيضا. قال: أما لا، فإني أحببت أن أتقدم إليكم، إنه قد أعذر من أنذر، وإنه قد كان يقوم القائم منكم إلى فيكذبني على رؤوس الناس فأحتمل له ذلك. وإني قائم بمقالة، فإن صدقت فلي صدقي وإن كذبت فعلي كذبي. وإني أقسم باله لكم لئن رد علي إنسان منكم لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إلى رأسه ثم دعا بصاحب حرسه فقال: أقم على كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك، فإن ذهب رجل يرد على كلمته بصدق أو كذب فليضرباه بسيفيهما .

ثم خرج وخرجوا معه، حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يستبد

بأمر دونهم، ولا يقضى أمر إلا عن مشورهم. وإنهمد قد ارتضوا وبايعو ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده، فبايعوا باسم الله. فضربوا على يده، ثم دلس على راحلته وانصرف.

فلقيهم الناس فقالوا: زعمتم وزعمتم، فلم أرضيتم وحبيتم فعلتم ، قالوا: إنا لله وما فعلنا. قال: فما منكم أن ترددوا على الرجل إذ كذب؟ ثم بايع أهل المدينة والناس: ثم خرج إلى الشام.

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: لسنا ننكر، ولا تبلغ بنا الجهالة ولا لنا في الحق حمية جاهلية، ولا تنطوي على غل لأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل نقول: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} إلا أن نقول: إن معاوية ترك الأفضل في أن يجعلها شورى، وألا يخص بها أحد من قرابته فكيف ولدا ، وأن يقتدي بما أشار به عبد الله بن الزبير في الترك أو الفعل فعدل إلى ولاية ابنه

وعقد له البيعة وبايعه الناس، وتخلف عنها من تخلف، فانعقدت البيعة شرعا، لأنها تنعقد بواحد وقيل باثنين.

فإن قيل: لمن فيه شروط الإمامة. قلنا: ليس السن في شروطها، ولم يثبت أنه يقصر يزيد عنها.

فإن قيل: كان منها العدالة والعلم، ولم يكن يزيد عدلا ولا عالما. قلنا: وبأي شيء نعلم عدم علمه أو عدم عدالته؟ ولو كان مسلوبهما لذكر ذلك الثلاثة الفضلاء الذين اشاروا عليه بأن لا يفعل، وإنما رموا إلى الأمر يعيب التحكم، وأرادوا أن تكون شوريز

فإن قيل: كان هناك من هو أحق منه عدالة وعلما، منهم مائة ورما ألف. قلنا: إمامة المفضول- كما قدمنا- مسألة خلاف بين العلماء على ذكر العلماء في موضعه.

وقد حسم البخاري الباب ، ونهج جادة الصواب:

فروى في صحيحه ما يبطل جميع هذا المتقدم ، وهو أن معاوية خطب وابن عمر حاضر في خطبته، فيما رواه

البخاري عن عكرمة بن خالد أن ابن عمر قال: دخلت على حفصة ونوساتها تنطف . قلت: قد كان من الأمر ما ترين، فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: الحق ، فإنهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة ، فلم تدعه حتى ذهب ، فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال: من كان يريد أن يتكم في هذا الأمر فيلطلع لنا قرنه ، فلنحن أحق به منه ومن أبيه ، قال حبيب بن مسلمة : فهلا أجبته؟ قال عبد الله : فحللت حبوتي ، وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك واباك على الإسلام ، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدماء وتحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان، فقال حبيب: حظفت وعصمت.

وروى البخاري أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر رضي الله عنه حشمه وولده وقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((ينصب لكل

غادر لواء يوم القيامة)) وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإني لا أعلم غدرا أعظم من أن نبايع رجلا على بيع الله ورسوله ثم تنصب له القتال ، وإني لا أعلم أحدا منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كنت الفيصل بيني وبينه.

فانظروا معشر المسلمين إلى ما روى البخاري في الصحيح، وإلى ما سبق ذكرنا له من رواية بعضهم أن عبد الله بن عمر لم يبايع، وان معاوية كذب وقال قد بايع ، وتقدم إلى حرسه يأمره بضرب عنقه إن كذبه. وهو قد قال في رواية البخاري: قد بايعناه على بيع الله ورسوله وما بينهما من التعارض، وخذوا لأنفسكم بالأرجح في طلب السلامة، والخلاص بين الصحابة والتابعين فلا تكونوا ولم تشاهدوهم- وقد عصمكم الله من فتنتهم- ممن دخل بلسانه في دمائهم، فيلغ فيها ولوغ الكلب بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها، ولم يحلق الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض.

وروى الثبت العدل عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن محمد بن المنكدر قال: قال ابن عمر حين بويع يزيد : إن كان خيرا رضيناه ، وإن كان شرا صبرنا.

وثبت عن حميد بن عبد الرحمن قال: دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين استخلف يزيد بن معاوية فقال: تقولون إن يزيد بن معاوية ليس بخير أمة محمد ، ولا أفقهها فيها فقها، ولا أعظمها فيها شرفا. وأنا أقول ذلك . ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد أحب إلى من أن تفترق، أرأيتم بابا دخل فيه أمة محمد صلى الله عليه وسلم ووسعهم، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه؟ قلنا: لا. قال : أرأيتم لو أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال كل رجل منهم لا أريق دم أخي ولا آخذ ماله، أكان هذا يسعهم؟ قلنا: نعم . قال: فذلك ما أقول لكم. ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يأتيك من الحياء إلا خير)) .

فهذه الأخبار الصحاح كلها تعطيك أن ابن عمر كان مسلما في أمرة يزيد ، وأنه بايع عقد له والتزم ما التزم الناس، ودخل فيما دخل فيه المسلمون، وحرم على نفسه ومن إليه بعد ذلك أن يخرج على هذا أو ينقضه.

وظهر لك أن قول من قال: إن معاوية كذب في قوله بايع ابن عمر ولم يبايع، وان ابن عمر وأصحابه سئلوا فقالوا لم نبايع فقد كذب.

وقد صدق البخاري في روايته قول معاوية على المنبر أن ابن عمر قد بايع بإقرار ابن عمر ذلك وتسليمه له وتماديه عليه.

فأي الفريقين أحق بالصديق إن كنتم تعلمون؟ الفريق الذي فيه البخاري، أم الذي فيه غيره؟

فخذوا لأنسفكم بالأحزم والأصح، أو اسكتوا عن الكل، والله يتولى توفيقكم وحفظكم.

والصاحب الذي كنى عنه حميد بن عبد الرحمن هو ابن عمر، والله أعلم. وإن كان غيره فقد أجمع رجلان عظيمان على

هذه المقالة وهي تعضد ما أصلنا لكم من أو ولاية المفضول نافذة وغن كان هنالك من هو أفضل منه إذا عقدت له. ولما في حلها- أو طلب الأفضل- من استباحة ما لا يباح، وتشتيت الكلمة، وتفريق أمر الأمة.

الليث بن سعد يسمي يزيد أمير المؤمنين

فإن قيل: كان يزيد خمارا. قلنا: لا يحل إلا بشاهدين، فمن شهد بذلك عليه بل شهد العدول بعدالته فروى يحيي بن بكير عن الليث ابن سعد، قال الليث: توفى أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا فسماه

الليث أمير المؤمنين بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم، ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلا توفى يزيد.

فإن قيل: ولو لم يكن ليزيد إلا قتله للحسين بن علي قلنا: يا أسفا على المصائب مرة، ويا أسفا على مصيبة الحسين ألف مرة. بوله يجري على صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم،

ودمه يراق على البوغاء لا يحقن يا لله ويا للمسلمين. وإن أمثل ما روى فيه أن يزيد كتب إلى الوليد بن عتبة بنعى له معاوية ويأمره أن يأخذه له البيعة على أهل المدينة- وقد كانت تقدمت فدعاة مروان فأخبره فقال له: أرسل إلى الحسين بن علي وابن الزبير، فإن بايعوا وإلا فاضرب أعناقهم. قال: سبحان الله، تقتل الحسين بن علي وابن الزبير؟ قال: هو ما أقول لك. فأرسل إليهما، فأتاه ابن الزبير، فنعى إليه معاوية وسأله البيعة ، فقال: ومثلي يبايع هنا؟ أرق المنبر، وأنا أبايعكم مع الناس علانية. فوثب مروان وقال: اضرب عنقه، فإنه صاحب فتنة وشر فقال ابن الزبير: إنك لهنالك يا ابن الزرقاء؟ واستبا فقال الوليد: اخرجهما عني، وأرسل إلى الحسين ولم يكلمه بكلمة في شيء، وخرجا من عنده. وجعل الوليد عليهما الرصد. فلما دنا الصبح خرجا مسرعين إلى

مكة فالتقيا بهماز فقال له ابن الزبير: ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك؟ فوالله لو أن لي مثل لذهبت إليهم. فهذا ما صح وذكر المؤرخون أن كتب أهل الكوفة وردت على الحسين ، وأنه أرسل مسلم بن عقيل- ابن عمه- إليهم ليأخذ عليهم البيعة وينظرو هو في أتباعه، فنهاه ابن عباس وأعلمهم أنهم خذبوا أباه وأخاه، واشار عليه ابن الزبير با لخروج فخرج، فلم يبلغ الكوفة إلا مسلم بن عقيل قد قتل وأسلمه من كان استدعاه. ويكفيك بهذا عظة لمن اتعظ. فتمادى واستمر غضبا للدين وقياما بالحق. ولكنه- ري الله عنه- لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عباس، وعدل عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر وطلب الابتداء في الانتهاء، والاستقامة من أهل الاعوجاج، ونضارة الشيبة في هشيم المشيخة. ليس حوله مثله، ولا له من الأنصار من يرعى حفه،

ولا من يبذل نفسه دونه، فأردنا أن نطهر الأرض من خمر يزيد فارقنا دم الحسين، فجاءتنا مصيبة لا يجبروها سرور الدهر وما خرج إليه أحد إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر عن الدخول في الفتن. وأقوال في ذلك كثيرة: منها ما روى مسلم عن زياد بن علاقة عن عرفجة بن شريح قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان)) فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله ، ولو أن عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين يسعه بيته أو ضيعته أو إبله- ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر لم يلتفت إليهم- وحضره ما أنذر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما قال في أخيه ، ورأى أنها قد

خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة، وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه؟ وما أدري في هذا إلا التسليم لقضاء الله، والحزن على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقية الدهر. ولولا معرفة أشياخ الصحابة وأعيان الأمة بأنه أمر صرفه الله عن اهل البيت، وحال من الفتنة لا ينبغي لأحد أن يدخلها، ما اسلموه أبدا.

وهذا أحمد بن حنبل– على تقشفه وعظيم منزلته في الدين وورعه– قد أدخل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد أنه كان يقول في خطبته : ((إذا مرض أحدكم مرضا فأشفى ثم تماثل، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فيلزمه، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه)) وهذا يدل على عظيم منزلته عنده حتى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم ويرعوي من وعظهم ، ونعم ما أدخله إلا في

جملة الصحابة ، قبل أن يخرج إلى ذكر التابعين ، فأين هذا من ذكر المؤرخين له في الخمر وأنواع الفجور، ألا تستحيون؟! وإذا سلبهم الله المروءة والحياء، ألا ترعوون أنتم وتزدجرون، وتقتدون بالأحبار والرهبان من فضلاء الأمة، وترفضون الملحدة والمجان من المنتمين إلى الملة {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} . والحمد لله رب العالمين.

وانظروا إلى ابن الزبير بعد ذلك وما دخل فيه من البيعة له بمكة، والأرض كلها عليه ، وانظروا إلى ابن عباس وعقله وإقباله على أمر نفسه ، وانظروا إلى ابن عمر وسنه وتسليمه للدنيا ونبذه لها. ولو كان للقيام وجه لكان أولى بذلك ابن عباس ، فإنه ولدي أخيه عبيد الله قد ذكر أنهما قتلا ظلما، ولكن رأى بعقله أن دم عثمان لم يخلص إليه، فكيف بدم ولدي عبيد الله ! وأن الأمر راهق ، قد خرجا عنه حفظا للأصل وهو اجتماع أمر الأمة وحقن دمائها وائتلاف كلمتها، ودع الأمر يتولاه أسود مجدع حسبما أمر به صاحب

الشرع صلوات الله عليه وسلامه. وكل منهم عظيم القدر مجتهد وفيما دخل فيه مصيب مأجور، ولله فيهم حكم في الدنيا قد أنفذه، وحكم في الآخرة قد أحكمه وفرغ منه. فاقدروا هذه الأمور مقاديرها، وانظروا بما قابلها ابن عباس وابن عمر فقابلوها، ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه، ولا يغني من الله ولا من دنياهم شيئا عنهم.

وانظروا إلى الأئمة الأخيار وفقهاء الأمصار، هل أقبلوا على هذه الخرافات وتكلموا في مثل هذه الحماقات؟ بل علموا أنها عصبيات جاهلية، وحمية باطلة، لا تفيد إلا قطع الحبل بين الخلق وتشتيت الشمل واختلاف الأهواء- وقد كان ما كان، وقال الأخباريون ما قالوا- فإما سكوت، وإما اقتداء بأهل العلم، وطرح لسخافات المؤرخيون والأدباء. والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته.

نكتة: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول من عقد الولاية لبني أمية

وعجبا لاستكثار الناس ولاية بني أمية ، وأول من عقد لهم الولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه ولي يوم الفتح عتاب بن أسيد ابن ابي العيص بن أمية مكة (حرم الله وخير بلاده) وهو فتى السن قد أبقل أو لم يبقل .

واستكتب معاوية بن أبي سفيان أمينا على وحيه. ثم ولي أبو بكر يزيد بن أبي سفيان- أخاه- الشام.

ومازالوا بعد ذلك يتنقلون في سبيل المجد، ويترقون في درج العز، حتى أنهتهم الأيام ، إلى منازل الكرام.

وقد روى الناس أحاديث فيهم لا أصل لها، منها حديث رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني أمية ينزون على منبره كالقردة، فعز ذلك عليه، فأعطى ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بنو أمية بعده ، ولو كان هذا صحيحا ما

استفتح الحال بولايتهم ، ولا مكن لهم في الأرض بأفضل بقاعها وهي مكة ، وهذا أصل يجب أن تشد عليه اليد.

فإن قيل: أحدث معاوية في الإسلام الحكم بالباطل، والقضاء بما لا يحل من استلحاق زياد. قلنا: قد بينا في غير موضع أن استلحاق زياد إنما كان لأشياء صحيحة، وعمل مستقيم نبينه بعد ذكر أمثل ما ادعى فيه المعون من الانحراف عن الاستقامة، إذ لا سبيل إلى تحصيل باطلهم، لأن خرق الباطل لا يرفع، ولسانه أعظم منه فكيف به لا يقطع؟!

قالوا: كان زياد ينتسب إلى عبيد الثقفي من سمية جارية الحارث بن كلدة، واشترى زياد عبيدا أباه بألف درهم فأعتقه.

قال أبو عثمان النهدي: فكنا نغبطه. واستعمله عمر على بعض صدقات البصرة، وقيل بل كتب لأبي موسى، فلما لم يقطع الشهادة مع الشهود على المغيرة جلدهم وعزله وقال له: ما عزلتك لخزية، ولكني كرهت أن أحمل على الناس فضل

عقلك. ورووا أن عمر أرسله إلى اليمن في إصلاح فساد فرجع وخطب خطبة لم يسمع مثلها ، فقال عمرو بن العاص: أما والله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق الناس بعصاه ، فقال أبو سفيان والله إني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه، فقال له علي : ومن؟ قال: أنا، قال: مهلا يا أبا سفيان. فقال أبو سفيان أبياتا من الشعر:

أما والله لولا خوف شخص

يراني يا علي من الأعادي

لأظهر أمره صخر بن حرب

ولم تكن المقالة عن زياد

وقد طالبت مخاتلتي ثقيفا

وتركي فيهم ثمر الفؤاد

فذلك الذي حمل معاوية ، واستعمله علي رضي الله عنه على فارس، وحمى، وجبي، وفتح، وأصلح.

وكاتبه معاوية يروم إفساده، فوجه زياد بكتابه إلى علي بشعر، فكتب إليه علي: إني وليتك: ما وليتك وأنت أهل لذلك عندي . ولن يدرك ما تريد بما أنت فيه إلا بالصبر والبقين. وإنما كانت من أبي سفيان فلتة ومن عمر، لا تستحق بها نسبا ولا ميرثا. وإن معاوية يأتي المؤمن من بين يديه ومن خلفه ، فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد لي أبو حسن ورب الكعبة .

فذلك الذي جرأ زياد ومعاوية بما صنعا، ثم ادعاه معاوية سنة أربع واربعين، وزوج معاوية ابنته من ابنه محمد ، وبلغ الخبرة أبا بكرة – أخاه لأمه– فآلى يمينا ألا يكلمه أبدا ، وقال هذا زنى أمه ، وانتفى من ابيه، والله ما رأت سمية أبا سفيان قط، وكف، وكيف يفعل بأم حبيبة : أيراها فيهتك حرمة رسول الله، وإن حجبته فضحته.

فقال زياد: جزى الله أبا بكرة خيرا ، فإنه لم يدع النصيحة في حال، وتكلم فيه الشعراء، ورووا عن سعيد بن المسيب أنه قال : أول قضاء كان في الإسلام بالباطل استلحاق زياد.

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: قد بينا في غير موضع هذا الخبر، وتكلمنا عليه بما يغني عن إعادته، ولكن لابد في هذه الحالة من بيان المقصود منه فنقول:

كل ما ذكرتم لا ننفيه ولا نثبته لأنه لا يحتاج إليه . والذي ندريه حقا ونقطع عليه علما أن زيادا من الصحابة بالمولد والرؤية، ولا بالتفقه والمعرفة. وأما أبوه فما علمنا له أبا قبل دعوى معاوية على التحقيق، وإنما هي أقوال غائرة من المؤرخين ، وأما شراؤه له فمراعاة للحضانة، فإنه حضنه عند أمه إذ دخل عليه فيه شبهة ، بالحضانة إليه إن كان ذلك.

وأما قولهم إن أبا عثمان النهدي غبطه بذلك، فهو بعيد على أبي عثمان ، فإنه ليس في أن يبتاع أحد حاضنه أو أباه فيعتقه من المزية بحيث يغبطه عليه أبو عثمان وأمثاله، لأن هذه مرتبة

يدركها الغنى والفقير والشريف والوضيع، ولو بذل من المال ما يعظم قدره، فيدري به قر مروءته في إهانة الكثير العظيم، في صلة الولي الحميم. وإنما ساقوا هذه الحكاية ليجعلوا له أبا، ويكون بمنزلة من انتفى من أبيه.

وأما استعمال عمر له فصحيح، وناهيك بذلك تزكية وشرفا ودينا.

وأما قولهم أن عمر عزله لأنه لم يشهد بباطل فباطل، بل روى أنه لما شهد أصحاب الثلاثة وعمر يقول للمغيرة: ذهب ربعك، ذهب نصفك، ذهب ثلاثة أرباعك، فلما جاء زياد قال له: أني أراك صبيح الوجه، وإني لأرجو أن لا يفضح الله على يديك رجلا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما خطبته التي ذكروا أنه عجب منها عمرو، فما كان عنده فضل علم ولا فصاحة يفوق بها عمرا فمن فوقه أو دونه. وقد أدخل له الشيخ المفترى خطبا ليست في الحد المذكور.

وأما قولهم إن أبا سفيان اعترف به، وقال شعرا فيه، فلا يرتاب ذو تحصيل في أن أبا سفيان لو اعترف به في حياة عمر لم يخف شيئا، لأن الحال لم يكن تخلو من أحد قسمين: إما أن يرى إلاطته به كما روى عنه في غيره فيمصي ذلك، أو يرد ذلك فلا يلزم أبا سفيان شيء باقتراف ما كان في الجاهلية. فذكرهم هذه الحكاية المخترعة الباردة المتهافتة الخارجية عن حد الدين والتحصيل لا معنى لها .

وأما تولية على له فتزكية.

وأما بعث معاوية إليه ليكون معه فصحيح في الجملة.

وأما تفاصيل ما كتب معاوية، أوكتب زياد به إلى علي، أو جاوب به على زيادا، فهذا كله مصنوع.

وأما قول علي إنما كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر لا تستحق بها نسبا فلو صح لكان ذلك شهادة، كما روى عن زياد، ولم يكن ذلك بمبطل لما فعل معاوية، لأنها مسألة

اجتهادا بين العلماء: فرأى علي شيئا ورأى معاوية وغيره، غيره.

وأما نكتة الكلام وهو القول في استلحاق معاوية زيادا وأخذ الناس عليه في ذلك، فأي أخذ عليه فيه إن كان سمع ذلك من أبيه؟ وأي عار على أبي سفيان في أن يليط بنفسه ولد زنا كان في الجاهلية. فمعلوم أن سمية لم تكن لأبي سفيان، كما لم تكن وليدة زمعة لعتبة، ولكن كان لعتبة منازع تعين القضاء له، ولم يكن لمعاوية منازع في زياد.

اللهم إن هاهنا نكتة اختلف العلماء فيها، وهي أن الأخ إذا استحلق أخا بقول هو ابن أبي ولم يكن له منازع بل كان وحده، فقال مالك، يرث ولا يثبت النسب. وقال الشافعي- في آخرين- يثبت النسب ويأخذ المال، هذا إذا كان المقر به غير معروف النسب. واحتج الشافعي بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((هو لك يا عبد بن زعمة، الولد للفراش للعاهر الحجر)) فقضى بكونه للفراش وبإثبات النسب.

وذلك أن قوله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضى بكونه للفراش صحيح، وأما قوله بثبوت النسب فباطل ، لأن عبد ادعى سببين: أحدهما الأخوة ، والثاني ولادة الفراش. فلو قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هو أخوك، الولد للفراش. لكان إثباتا للحكم وذكرا للعلة. بيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدل عن الأخوة ولم يتعرض لها، وأعرض عن النسب ولم يصرح به، وإنما هو في الصحيح في لفظ هو أخوك وفي آخر هو لك، معناه فأنت أعلم به. وقد مهدنا ذلك في مسائل الخلاف .

فالحارث بن كلدة لم يدع زيادا ولا كان إليه منسوبا، وإنما كان ابن أمته ولد في فراشه- أي في داره- فكل من ادعاه لهو له، إلا أن يعارضه من هو أولى به منه، فلم يكن على معاوية في ذلك مغمز، بل فعل فيه الحق على مذهب مالك.

فإن قيل: فلم أنكر عليه الصحابة؟

فقلنا: لأنها مسألة اجتهاد، فمن رأى أن النسب لا يلحق بالوارث الواحد أنكر ذلك وعظمه.

فإن قيل: ولم لعنوه، وكان يحتجون بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ملعون من انتسب لغير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه)) رواه البزار واصله في الصحيح .

قلنا: إنما لعنه من لعنه لوجهين: أحدهما لأنه أثبت نسبه من هذا الطريق، ومن لم ير لعنه لهذا لعنه لغيره. وكان زياد أهلا أن يلعن–عندهم– لما أحدث بعد استلحاق معاوية .

فإن قيل: جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم للزنا حرمة، ورتب عليها

حكما حين قال: ((احتجبي منه يا سودة)) البخاري ، وهذا يدل على أن الزنا يتعلق به من حرمة الوطء ما يتعلق بالنكاح الصحيح. هكذا قال الكوفيون. ومالك في رواية ابن القاسم يساعدهم على المسأة ولا يساعدهم على دليلها من هذا الوجه، وقد بينها في كتاب النكاح. وقال الشافعي:

العدر في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسودة بالاحتجاب مع ثبوت نسبة من زمعة وصحة أخوته لها بدعوى عبد أن لك تعظيم لحرمة أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم لم يكن كأحد من النساء في شرفهن وفضلهن.

قلنا: لو كان أخاها بنسب ثابت صحيح كما قلتم، ويكون قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم برواية البخاري : ((الولد للفراش)) تحقيقا للنسب لما منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم سودة منه ، كما لم يمنع عائشة من الرجل الذي قالت : ((هو أخي من الرضاعة)) وإنما قال: ((انظرن من إخوانكن)) رواه البخاري .

وأما ما روى عن سعيد بن المسيب، فأخبر عن مذهبه في أن هذا الاستلحاق ليس بصحيح ، وكذلك رأى غيره من الصحابة والتابعين .

وقد صارت المسألة إلى الخلاف بين الأئمة وفقهاء الأمصار، فخرجت من حد الانتقاد إلى حد الاعتقاد. وقد صرح مالك في كتاب الاسلام وهو الموطأ بنسبه فقال في دولة بني العباس زياد بن أبي سفيان. ولم يقل كما يقول المخاذل زياد بن أبيه هذا على أنه لا يرى النسب يثبت بقول واحد، ولكن في ذلك فقه بديع لم يتفطن له أحد، وهو أنها لما كانت مسألة خلاف.

نكتة: للولايات والعزلات معان وحقائق لا يعرفها كثير من الناس

ونفذ الحكم فيها بأحد الوجهين، لم يكن لنا رجوع فإن حكم القاضي في مسائل الخلاف بأحد القولين يمضيها ويرف الخلاف فيها، والله أعلم.

وأما روايتهم أن عمر قال كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس فهذه زيادة ليس لها أصل، من ناقص عقل. وأي عقل كان لزياد يزيد به على الناس في ايام عمر، وغلام كل واحد

من الصحابة كانأ عقل من زياد وأعلم منه، ولهذا كل من كمل عقله أكثبر من الآخر فهو أولى أن يختلط مع الناس. ويقولون: إنه كان داهية، وهي كلمة واهية، والهاء والأرب وهو المعرفة بالمعاني، والاستدلال على العواقب بالمبادئ. وكل أحد من الصحابة والتابعين فوق زياد. وتلك الروايات التي يروي المؤرخون- من كذبهم- في حيل الحرب والفتك بالناس، كل أحد اليوم يقدر على مثلها وأكثر منها، والحيلة إنما تكون بديعة وتنثي وتروى إذا وافقت الدين، وأما كل حكاية تخالف الدين فليست في روايتها ولا في رواتها خير ولا عقل. وكل الناس كما قدمنا- وخذ من ولاة بني أمية خاصة- أعقل من زياد وأفصح منه. فلا تلتفتوا إلى ما روى من الأباطيل.

والولايات والعزلات لها معان وحقائق لا يعلمها كثير من الناس. لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات عن زهاء اثنى عشر ألفا من الصحابة معلومين. منهم ألفان أو نحوهما مشاهير في الجلالة، ولي منهم أبةو بكر سعدا

وابا عبيدة ويزيد وخالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ونفرا غيرهم فوقهم، وولي أنس بن مالك بن عشرين سنة على البحرين اقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في عتاب. ومتى كان استوفى تسمية الذين شهدوا بأبوة أبي سفيان لزياد المشيخة حتى يأخذ الشبان. وولي عمر أيضا كذلك، وبادر بعزل خالد. وذلك كله لفقه عظيم ومعارف بديعة بيانهافي موضعها من كتب الإمامة والسياسة من الصول، فخذوا في فن غير هذا، فليس هذا الباب مما تلوكه أشداق أهل الآداب. وأما ما روى عن معاوية أنه استدعى شهودا فشهد السلولي وسواه فسل من الحق، ما روى عن السلولي، فإنه لم يكن قط. واسعد بإسقاط ما روى في القصة سعيد أو سعد. وأما كلام أبي بكرة– أخيه لأمه– فيه فغير ضائر له، لأن ذلك رأي أبي بكرة واجتهاد. أما قولهم فيها عن أبي بكرة أنه زنى أمه، فلو كان ذلك صحيحا لم يضر امه ما جرى في الجاهلية

في الدين، فإنه الله عفا عن أمر الجاهلية كلها بالإسلام، وأسقط الإثم والعار منه، فلا يذكره إلا جاهل به.

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: والناس إذا لم يجدوا عيبا لأحد وغلبهم الحسد عليه وعدواتهم له أحدثنا له عيوبا. فاقبلوا الوصية، ولا تلتفوا إلا على ما صح من الأخبار، واجتنبوا- كما ذكرت لكم- أهل التواريخ، فإنما ذكروا عن السلف أخبارا صحيحة يسيرة ليوسلوا بذلك إلى رواية الباطيلن فيقذفوا-كما قدمنا- في قلوب الناس ما لا يرضاه الله تعالى، وليحتقروا السلف ويهونوا الدين، وهوأعز من ذلك، وهم أكرم منا، فرضى الله عن جميعهم.

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التي يختلقها أهل التواريخ فيدسونها في قلوب الضعفاء، وهذا زياد لما أحسن النية استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة فقبل خلافته ، وكيف ظن به – على منزلته- أنه يقبل ولاية ظالم لغير رشده، وهو على ما هو عليه من

الصحبة، وذلك من غير إكراه ولا تقية؟ إن هذا لهو الدليل المبين. فمع من تحبون أن تكونوا: مع سمرة بن جندب، أو مع المسعودي والمبرد وبن قتيبة ونظرائهم؟ هذا غاية في البيان.